11 me Année No. 524

Lundi - 19 - 7 - 1943

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
٨٠ فى مصر والسودان
١٢٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ١٥ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٥٢٤ «القاهرة فى يوم الإثنين ١٦ رجب سنة ١٣٦٢ — الموافق ١٩ يولية سنة ١٩٤٣» السنة الحادية عشرة

الفهـــرس

صفحة			
٥٦١	دفاع عن البلاغة	:	أحمد حسن الزيات ... ...
٥٦٣	الحديث ذو شجون : جبرائيل تقلا باشا . مصادر الثروة القومية . محاكمة النقاد ...	:	الدكتور زكى مبارك ... ...
٥٦٦	وفود العرب على كسرى ...	:	الأستاذ جليل ... ...
٥٦٧	المسرح المصرى وكيف نشيده على دعائم ثابتة	:	الأستاذ دريني خشبة ... ...
٥٧١	إيضاح أخير	:	الدكتور محمد مندور ...
٥٧٣	الخليل بن أحمد	:	الأستاذ طه الراوي ... ...
٥٧٥	كتب التراجم	:	الأستاذ محمد عبد الغنى حسن
٥٧٨	اليتيم ... ... [قصيدة]	:	الآنسة فدوى عبد الفتاح طوقان
٥٧٨	عودة إلى الوكر «	:	الأديب حسين محمود البشبيشى
٥٧٩	إلى الدكتور بصر فارس ...	:	الأستاذ دريني خشبة .. ...
٥٧٩	يوق وبوقات	:	الأستاذ على الجندى ... ...
٥٧٩	مثال من تداعى الأخطاء ...	:	الأستاذ محمود عزت عرفة ...
٥٨٠	« الشاعر الرجيم : بودلير »	:	الأديب زكريا ابراهيم . ...

١٤ ـ دفاع عن البلاغة

٦ ـ الأســلوب

سمع ابن هرمة أديباً ينشد قوله:

بالله ربك إن دخلت فقل لها هذا ابن هرمة (قائما) بالباب

فقال له: لم أقل (قائما). أكنت أتصدق[1]؟ قال: قاعداً؟ فقال: أكنت أبول؟ قال: فماذا؟ قال: واقفاً. وليتك علمت ما بين هذين من قدر اللفظ والمعنى!

ذلك مثال من أمثلة كثيرة تريك كيف يميز الفنان اللفظ ويختاره. وتمييز اللفظ واختياره شديدان على من لم يؤته الله العلم بمعانى الألفاظ، والبصر بفروق المعانى. ولم يقع صاغة الكلام فى البهرج والزيف إلا بمجافاة الذوق ومخالفة اللغة. فإن اللفظة الحوشية أو السوقية أو الطفيلية أو النابية أو الركيكة أو المبهمة أو العليلة لا تسقط فى الكلام إلا إذا كان العلم الذى يميز قد فقد، والذوق الذى يختار قد فسد. وإذن تكون الكلمة التى انتُخبت بذوق، واستعملت بحذق، هى الكلمة الضرورية الطبيعية التى تتحقق بها خصوصية اللفظ وهى الركن الأول لأصالة الأسلوب. أما الركن الآخر وهو طرافة العبارة فأساسه الابتكار فى حكاية الخبر وتصوير

(١) تصدق: طلب الصدقة

الفكر وتقويم الموضوع . وهيهات أن تجد الجملة المبتكرة التي تثير الإعجاب ، وتحدث الأثر ، وتحرك الفتنة ، إلا إذا وجدت الكلمة الخاصة التي تحدد الفروق ، وتجدد الملاقة ، وتبعث الحركة . والأسلوب كما قلت من قبل خَلق مستمر : خلق للفكر بطرافته ، وخلق للترتيب بتنسيقه وتشويقه ، وخلق للأداء بألفاظه ولهجاته وصوره . وعلى قدر ما يتضح الخلق في الكتابة ، تتضح العظمة في الكاتب . أما القوالب الموضوعة والرواسم المصنوعة فقد كانت فيما مضى قطعاً من أعصاب الذين صاغوها ، ثم قُطعت بهم وبها أسباب الحياة فضمنتهم القبور وضمنتها الكتب . فكما لا ينفعك أن تستعير أعضاءهم لجسدك ، لا ينفعك أن تستعير تراكيبهم لأسلوبك . ولكن أدعياء الكتابة يعيشون على هذه الرواسم كما يعيش أدعياء التصوير على نقل الروائع الفنية باليد ، أو تصويرها بالآلة . وكثيراً ما يسرقون على أنفسهم فينتحلون القصيدة بنصها أو المقالة بلفظها . ولا أزال أذكر صعقة الأستاذ إبراهيم ... وقد دُعي ذات ليلة إلى حفلة زفاف . وأبى ولاؤه للعريس ووفاؤه للفن إلا أن يسجل اسمه بين خطباء العرس . وذهب إلى كتاب (أبدع الأساليب ، في إنشاء الخطب والمكاتيب) فحفظ منه خطبة رنانة فيها السجع المرصع ، وفيها الشعر البديع . ثم أخذ مكانه المرموق فوق المنصة . وتعاقب الخطباء والشعراء على المنبر المزدان بالرايات والثريات والرياحين . حتى إذا لم يبق بينه وبين الكلام غير خطيب واحد ، تبجح وتنحنح ، ثم تجهز وتحفز ؛ ولكنه لم يكد يصغي إلى الخطيب الذي قام قبله حتى حملق إليه وقد ائتسف لونه ، وانقفز قلبه ، وارفضّ عرقه ، وتمنى لو ساخت به الأرض ! لقد كان الخطيب السبّاق قد اقتنى الكتاب نفسه ، وانتقى الخطبة عينها ، ثم سبق الأستاذ إبراهيم إلى القول فانطلق يلقيها عن ظهر الغيب لا يتلعثم ولا يتوقف ولا يخرم منها حرفاً ! وبينما كان المنبر يهدر بالأسجاع ، والسرادق يدوي بالتصفيق ، والبيت يلمع بالزغاريد ، كان الأستاذ إبراهيم قد أخذ بطنه بيديه ، ومشى مشية الشيخ الأحدب ، يتأوه ويتلوى ويسأل الذين فجئهم بهذه الوعكة الغريبة عن بيت (الأدب) !

ثم نعود فنقول إن الأصالة هي الكلمة الخاصة والعبارة الجديدة . وبخصوصية الكلمة وجدة العبارة تتحقق الطبيعية في الأسلوب . وليست الطبيعية أن ترسل الكلام على سجيتك من غير روية ولا تنقيح ، إنما الطبيعية نتيجة النظر الطويل والجهد المتصل . فهي على الرغم من اسمها تكسب ولا توهب . وشرطها الذي لا بدّ منه أن يختفي فيها الفن كما تختفي دودة القز في الشرنقة . فإن من الفن ألا يظهر الفن ، كما قال شيشرون . ومن اختفاء الجهد البالغ في سراح الطبع ، وكمون الصنعة الدقيقة في سهولة العبارة ، ينشأ ما يسمونه بالسهل الممتنع . والأصل فيه قول ابن المقفع لمن سأله عن البلاغة : « هي التي إذا سمعها الجاهل ظن أنه يحسن مثلها ، فإذا حاول عجز »

ومن كلام بسكال أنك « تقرأ الأسلوب المطبوع فتعجب منه وتُعجب به ، لأنك تتوقع أن تجد فيه الفنان ، فإذا بك لا تجد إلا الإنسان »

ومن الطبيعية بمعناها الفني تكون الدقة . وما الدقة إلا ترك فضول الكلام وتوخي صواب اللفظ . وهي تختلف في أسلوب الشاعر والخطيب عنها في أسلوب الفيلسوف والمؤرخ . ولكن القدر المشترك منها في أساليب هؤلاء هو أن يعرف كل منهم كيف يمضي قُدُماً إلى الغاية . وكل ما يجعل الفكرة نيرة مؤثرة ، والصورة حية قوية ، والعاطفة أخاذة نفاذة ، هو في الحقيقة داخل في القدر المشترك لكل كاتب

والدقة المشتقة من الطبع سبيل الوضوح . لأن غموض الكلمة ينشأ من غرابتها أو اشتراكها ، وغموض الكلام ينشأ من تعقده أو فساده . والغرابة والاشتراك والتعقد والفساد هي الأضداد الطبيعية لمعاني الأصالة

ومن بدائه العقل أنك تفهم لتكتب ، وتكتب لتُفهم . ولكن من الكتاب من ينسج قبل فرز الخيوط ، ويكتب قبل درس الفكرة ، فيلتاث عليه الأمر . وإن منهم من يحسب أن الوضوح ينافي العمق ، والبساطة تجافي الدقة ، فيُغرب ولا يعرب ، ويجمجم ولا يترجم ؛ ثم يسمي هذا الغموض فناً وذلك العجز رمزاً . على أننا لا نقصد بالوضوح أن يسفر لك الكلام عن معناه كله لأول وهلة ؛ إنما نقصد به الوضوح الفني الذي يتراءى خلال النقاب الشفاف والظلام المضيء والعمق الصافي ؛ وهو بالطبع أكثر دلالة وأشرق بياناً وأروع جمالاً وأطول وحياً من ذلك الوضوح الساذج الذي يعرفه الكاتب الجاهل ، ويطلبه القارئ الغبي .

(الكلام بقية) أحمد حسن الزيات